اللباب
في علوم الكتاب

تأليف

الإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي
ابن عادل الدمشقي الحنبلي
المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود   الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه برسالته الجامعية

الدكتور محمد سعد رمضان حسن / الدكتور محمد المتولي الدسوقي حرب

الجزء الثالث عشر

المحتوى:

أول سورة مريم - آخر سورة الأنبياء

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2298-3

90000>

9 782745 122988

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : baydoun@dm.net.lb

وقوله: بأنه يفضي إلى التلبيس، قلنا: التلبيس غير لازم، لأن النبي إذا جعل ذلك معجزة لنفسه فالمدعوَ أن يقول: لم لا يجوز أن يقال: إن قوة أجسامهم[(١)] كانت معجزة لنبي آخر. ومع قيام هذا الاحتمال لا يتمكن المتنبي من الاستدلال به. واعلم أن أجسام هذا العالم إما كثيفة أو لطيفة. أما الكثيف[(٢)] فأكثف الأجسام الحجارة والحديد، وقد جعلهما الله تعالى معجزة لداود ـ عليه السلام[(٣)] ـ قوة النار مع كون الإصبع في نهاية اللطافة، فأي بعد أنْ يجعل التراب اليابس جسماً حيوانياً. وألطف الأشياء في هذا العالم الهواء والنار، وقد جعلها الله ـ تعالى ـ معجزة لسليمان ـ عليه السلام[(٤)]، أما الهواء فقوله: «فَسَخَّرْنَا[(٥)] لَهُ الرِّيحَ»[(٦)]. وأما النار فلأنَّ الشياطين مخلوقون[(٧)] من النار، وقد سخرهم الله ـ تعالى ـ له، ثم كان يأمرهم بالغوص في المياه، والنار تطفأ بالماء، ولم تكن تضرهم وذلك يدل على قدرته على إظهار الضد من الضد.

قوله تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ الآية.

قوله: «وَأَيُّوبَ» كقوله: «وَنُوحاً»[(٨)] وما بعده[(٩)]. وقرأ العامة «أَنّي» بالفتح لتسلط النداء عليها بإضمار حرف الجر بأني[(١٠)]. وعيسى بن عمر بالكسر[(١١)] فمذهب[(١٢)] البصريين إضمار القول أي: نادى فقال: إني[(١٣)] ومذهب الكوفيين أجرى النداء مجرى القول[(١٤)]. والضُّرّ بالضم المرض في البدن وبالفتح الضرر في كل شيء فهو أعم من الأول[(١٥)].

فصل

قال وهب بن منبه[(١٦)]: كان أيوب ـ عليه السلام[(١٧)] ـ رجلاً من الروم، وهو

(١) في ب: أجسادهم.
(٢) في ب: الكثيفة.
(٣) في ب: عليه الصلاة والسلام.
(٤) في النسختين: وسخرنا. وهو تحريف.
(٥) في النسختين: وسخرنا. وهو تحريف.
(٦) من قوله تعالى: ﴿فسخّرنا له الرّيح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب﴾ [ص: ٣٦].
(٧) في الأصل: مخلوقين.
(٨) [الأنبياء: ٧٦].
(٩) وهو قوله: ﴿وداود وسليمان﴾ [الأنبياء: ٧٨] من أوجه الإعراب الجائزة.
(١٠) انظر البحر المحيط ٦/ ٣٣٤.
(١١) المختصر (٩٢)، البحر المحيط ٦/ ٣٣٤.
(١٢) في ب: فذهب. وهو تحريف.
(١٣) في ب: وإني. وهو تحريف.
(١٤) انظر الكشاف ٣/ ١٨، البحر المحيط ٦/ ٣٣٤.
(١٥) انظر الكشاف ٣/ ١٨، اللسان (ضرر)، البحر المحيط ٦/ ٣٣٤.
(١٦) من هنا نقله ابن عادل عن الفخر الرازي ٢٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٨.
(١٧) في ب: عليه الصلاة والسلام.

منك شراً فأخرك. فرجع إبليس إلى أصحابه خاسئاً ذليلاً، فقال لهم: ماذا عندكم من القوة؟ فقال عفريت آخر: عندي من القوة ما إذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح إلا خرجت روحه. فقال له إبليس: فأت الغنم ورعاتها، فانطلق فصاح بها فماتت ومات رعاتها، ثم جاء إبليس متمثلاً بقهرمان الرعاة إلى أيوب وهو يصلي، فقال له مثل القول الأول، فرد[١] عليه أيوب الرد الأول. فرجع إبليس صاغراً إلى أصحابه، فقال لهم: ما عندكم من القوة فإني لم أكلم قلب أيوب؟ فقال عفريت آخر: عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحاً عاصفاً أقلع[٢] كل شيء أتيت عليه.

فقال: اذهب إلى الحرث والفدادين، فأتاهم، فأهلكهم[٣]. ثم أتى إبليس متمثلاً إلى أيوب، فقال[٤] مثل قوله، فرد عليه أيوب الرد الأول. وكلما انتهى إليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضي عنه بالقضاء، ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال. فلما رأى إبليس صبره على ذلك وقف الموقف الذي كان يقفه عند الله. فقال: إلٰهي إن أيوب يرى أنك ما متعته بولده، فأنت معطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده فإنها المعصية التي لا تقوم لها قلوب الرجال؟ قال الله تعالى: انطلق فقد سلطتك على ولده. فأتى أولاد أيوب في قصرهم فلم يزل يزلزله بهم من قواعده حتى قلب القصر عليهم. ثم جاء أيوب متمثلاً بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ[٥] الوجه والرأس يسيل دمه ودماغه، فقال: لو رأيت بنيك كيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم لتقطع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه ويرققه حتى رَقَّ أيوب ـ عليه السلام[٦] ـ وبكى وقبض قبضة من التراب ووضعها على رأسه، وقال: ليت أمي لم تلدني، فاغتنم إبليس ذلك وصعد سريعاً، ووقف موقفه. ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر واستغفر، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته، فسبقت توبته إلى الله ـ تعالى ـ وهو أعلم. فوقف إبليس ذليلاً فقال: يا إلٰهي إنما هوّن على أيوب المال والولد لعلمه أنه يرى أنك متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد، فهل أنت مسلطي على جسده؟ فقال الله ـ عزَّ وجلَّ[٧] ـ انطلق فقد سلطتك على جسده، وليس لك على قلبه وعقله ولسانه سلطان، وكان الله ـ عزَّ وجلَّ[٧] ـ أعلم به لم يسلطه عليه إلا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين، وذكرى للعابدين، وكل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر، ورجاء للثواب. فانْقَضّ عدو الله سريعاً، فوجد أيوب ساجداً، فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه، فنفخ في منخره نفخة اشتعل فيها جسده فخرج من

---

(١) في ب: ورد. (٢) في ب: لأقلع.

(٣) في الأصل: فأهلكم. وهو تحريف. (٤) في الأصل: وقال.

(٥) الشدخ: كسر الشيء الأجوف كالرأس ونحوه، شدخ رأسه فانشدخ وشدّخت الرؤوس شدِّد للكثرة. اللسان (شدخ).

(٦) في ب: عليه الصلاة والسلام. (٧) في ب: تعالى.

قرنه إلى قدمه ثآليل[١] مثل أليات الغنم، ووقعت فيه حكّة لا يملكها، فكان يحك بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة حتى تقطع لحمه وتغير وأنتن، فأخرجوه أهل القرية وجعلوه على كناسة، وجعلوا له عريشاً، ورفضه الناس كلهم إلا امرأته رحمة بنت افرايم بن يوسف، فكانت تصلح أموره ويختلف إليه مما يصلحه. ثم إنَّ وَهْباً طول الحكاية إلى أن قال: إنَّ أيوب ـ عليه السلام[٢] ـ أقبل على الله ـ تعالى[٣] ـ متضرعاً إليه فقال: رب لأي شيء خلقتني يا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك عني ألم أكن للغريب داراً، وللمسكين قراراً، ولليتيم ولياً، وللمرأة قيماً، إلٰهي أنا عبد ذليل إن أحسنت فَالمَنُّ لك وإن أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضاً، وللفتنة نصباً، وسلطت عليّ[٤] ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله، إلٰهي تقطعت أصابعي، وتساقطت لهواتي، وتناثر شعري، وذهب المال فصرت أسأل اللقمة فيطعمني من يمن[٥] بها علي، ويعيرني بفقري وهلاك أولادي. قال الإمام أبو القاسم الأنصاري ـ رحمه الله ـ: وفي جملة هذا الكلام ليتك إذ كرهتني لم تخلقني، ثم قال: ولو كان ذلك صحيحاً لاغتنم إبليس بأن يحمله على الشكوى، وأن يخرجه عن[٦] حلية الصابرين، والله لم يخبر عنه إلا قوله «أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» وقال: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب»[٧]. واختلف العلماء في السبب الذي قال لأجله «أَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ» فروى ابن شهاب عن أنس عن رسول الله ـ ﷺ ـ «إن أيوب ـ عليه السلام[٨] ـ بقي في البلاء ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلاَّ رجلين كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما للآخر ذات يوم: والله إن أيوب أذنب ذنباً ما أذنبه أحد[٩] من العالمين. فقال صاحبه: وما ذاك. فقال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله، ولم يكشف ما به. فلما راحا إلى أيوب لم يصبر حتى ذكر ذلك له. فقال أيوب: ما أدري ما يقولان غير أن الله ـ تعالى ـ يعلم[١٠] أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق. وروي أنَّ الرجلين لما دخلا عليه قالا: لو كان لأيوب عند الله منزلةٌ ما بلغ إلى هذه الحالة. فما شق على أيوب شيء مما بلي به أشد مما سمع منهما، وقال: اللهم إن كنت تعلم أني

---

(١) الثآليل: جمع الثؤلول: وهو الخراج، وقد ثؤلل الرجل وقد تثألل جسده بالثآليل وهو الحبة تظهر في الجلد كالحمصة فما دونها. اللسان (ثأل).

(٢) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٣) تعالى: سقط من ب.

(٤) على: سقط من الأصل.

(٥) في ب: عن. وهو تحريف.

(٦) في الأصل: على.

(٧) [ص: ٤٤].

(٨) في ب: عليه الصلاة والسلام.

(٩) في ب: أحداً. وهو تحريف.

(١٠) يعلم: سقط من الأصل.